Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حول أسبقية الترتيب ، لشدة تلازمها وترافقها في دفع هذا الفن إلى الظهور وحيّز الوجود ولذلك فإن تقدُّمَ سبب وتأخُّرَ غيره ربما كان أحق بالأسبقية ، لا يعني أبداً التغيير في النتيجة أو الموقف . وقد تمثلت تلك الدوافع في الأمور التالية :

١ ـ الرغبة في التأليف البلاغي (البديعي) :

إن هذا السبب لا يكاد يخفى ، فقد صرح به الحلي ناظم أول بديعية في مقدمة شرحه لها ، وقد كانت غايته الأولى تأليف كتاب يضم انواع البديع التي اجتمعت لديه من قراءاته ، والتي استخرجها بنفسه وارتضاها ، لولا حيلولة المرض بينه وبين ما أمّل ، وقد أشرنا إلى ما يؤيد هذا عندما تحدثنا عن علاقة البديع (بالبديعيات) ، فمن مكرور القول إن أفضنا به هنا ثانية ، ولكن نذكّر بنصه الذي جاء في المقدمة ، بعد أن عرض مصادر مادته التي اجتمعت في ذهنه ، فقد قال : « فجمعت ما وجدت في كتب العلماء ، وأضفت إليه أنواعاً استخرجتها من أشعار القدماء ، وعزمت أن أؤلف كتاباً محيطاً بجلها إذ لا سبيل إلى الإحاطة بكلها » . وفي هذا القول ما فيه من دلالة وبرهان ، يتضح فيه الرغبة والعزم على التأليف في البديع قبل كل شيء ، وربما لم تكن فكرة نظم الأنواع في قصيدةٍ قد اختلجت في ذهن الصفي الحلي أو داعبت أفكاره ، وإن كان مسبوقاً إلى مثل ذلك من قِبل أمين الدين الإربلي وحتى ابن معطي ، اللذين سيأتي الحديث عنهما . ولم يكن هذا دأب الصفي الحلي وحده ، إنما كان دأبَ كل من سار بعده على نهجه ، وحسبك ما أضيف إلى (البديع) من أنواع جديدة في (البديعيات) المتتالية[1] ، دليلاً على وجود هذه الرغبة وصدقها .

٢ ـ الرغبة في مدح النبي محمد ﷺ واجتماعها مع رغبة التأليف :

لعل بذور هذه الرغبة قد غُرست في وهمك عند قراءتك للحديث عن

---

(١) انظر الفصل الأخير من هذا البحث : أثر البديعيات في البلاغة .